٢ ـ لقب الســـفاح

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

نقل الأستاذ العبادى البحث فى هذا الموضوع إلى ميدان آخر غير الأول ، فأنكر أن يكون السفاح لقباً لأبى العباس ، وذهب إلى أنه لقب عمه عبد الله بن على واليه على الشام ، وحجته فيما ذهب إليه من ذلك تنحصر فيما يأتى :

١ — أن الرواية التاريخية القديمة كرواية ابن سعد وابن عبد الحكم والبلاذرى وأبى حنيفة الدينورى وخليفة والفسوى واليعقوبى والطبرى والنوبختى والكندى لم تلقب أبا العباس بالسفاح ...

٢ — أن تلقيب أبى العباس بالسفاح من رواية المؤرخين الأدباء كالجاحظ وابن قتيبة والأصفهانى

٣ — أن رواية ابن سعد واليعقوبى وصاحب أخبار مجموعة وصاحب الإمامة والسياسة تجعل السفاح لقباً لعبد الله بن على عم أبى العباس

٤ — أنه رجع إلى سيرة أبى العباس قبل الخلافة وبعدها فلم يجد فيها ما يسوغ تلقيبه بالسفاح بمعنى القتال ؛ أما سيرة عمه عبد الله وما سفكه من دماء بنى أمية بالشام فتسوغ له ذلك اللقب

ونحب أن نبين ما فى هذه الحجة الأخيرة من غفلة ظاهرة ، قبل أن نعنى برد ما قبلها من الحجج ، فإن أبا العباس هو الذى سلط عمه عبد الله بن على على بنى أمية بالشام ، فهو مسؤول عن كل ما فعله معهم ، وشريكه فى الدماء التى سفكها ، والنفوس التى أزهقها ، على أن أقصى ما فُعل مع بنى أمية مختلف فى نسبته إليه أو إلى عمه عبد الله بن على ، وهو ما روى أن شبل بن عبد الله مولى بنى هاشم دخل على أبى العباس أو عمه عبد الله على اختلاف الروايتين ، فوجد عنده عدة من بنى أمية نحو تسعين رجلاً ، وقد اجتمعوا عند حضور الطعام ، فأنشده :

أصبح الملكُ ثابت الأساسِ ... بالبهاليلِ من بنى العباسِ
طلبوا وترَ هاشمٍ فشفوها ... بعد ميلٍ من الزمان ويأسِ
لا تُقيلنّ عبد شمس عِثاراً ... واقطعَنْ كل رَقلةٍ وغراسِ
ذُلها أظهر التودُّدَ منها ... وبها منكم كَدُّ المواسى
ولقد ساءنى وساء سوائى ... قربهم من نمارق وكراسى
أنزلوها بحيث أنزلها اللـ ... ـهُ بدار الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد ... وقتيل بجانب المِهْراس[1]
والقتيل الذى بحرّان أضحى[2] ... ثاوياً بين غُربةٍ وتناس

فأمر بهم أبو العباس أو عبد الله فضربوا بالعمد حتى وقعوا ، وبسط عليهم الأنطاع ، ومد عليهم الطعام ، وأكل الناس وهم يسمعون أنينهم ، حتى ماتوا جميعاً

وإذا لم يكن أبو العباس هو الذى فعل ذلك فقد سلط عمه عبد الله عليه ، وافتخر به فى بعض أحاديثه ، ونسب ما حصل لبنى أمية من القتل والتنكيل إلى نفسه ، فروى المسعودى أنه لما أتى برأس مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية ووضع بين يديه ، سجد فأطال ، ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذى لم يُبق ثأرى قِبلك وقبل رهطك ، الحمد لله الذى أظفرنى بك وأظهرنى عليك ، ثم قال : ما أبالى متى طرقنى الموت ؟ قد قتلت بالحسين وبنى أبيه من بنى أمية مائتين ، وأحرقت بُسْرَ هشام بابن عمى زيد بن على ، وقتلت مروان بأخى إبرهيم ، وتمثل :

لو يشربون دمى لم يرْوَ شاربُهم ... ولا دماؤُهمُ للغيظ ترْوينى

ثم حول وجهه إلى القبلة فأطال السجود ، ثم جلس وقد أسفرَ وجهه ، وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب من أبيات له :

أبى قومنا أن يُنصفونا فأنصفتْ ... قواطعُ فى أيماننا تقطرُ الدّما
تورّثن من أشياخ صِدْقٍ تقربوا ... بهنّ إلى يوم الوغى فتقدّما
إذا خالطتْ هام الرجال تركنها ... كبيض نعام فى الوغى مُتحطّما

ومن يقرأ هذا يجزم بأن أبا العباس كان يحمل قسطا كبيراً من دماء بنى أمية مثل عمه عبد الله أو أشد ، لأن كل هذا الذى سفك من دمائهم لم يكن بحيث يروى ما عنده من الحقد

---

(١) هو ماء بأحد قتل عنده حمزة بن عبد المطلب

(٢) هو إبراهيم الامام أخو أبى العباس

ولقد كان له سفاح آخر نسيه المؤرخون ، ولم يكن بأقل من عبد الله بن علي سفكاً للدماء ، ذلك هو سليمان بن علي أخو عبد الله وعم أبي العباس ، فقد ولاه البصرة وسلطه على من كان بها من بني أمية ، فقتل من كان بها منهم ، وألقاهم في الطريق فأكلتهم الكلاب ، وكذلك سلط عمه داود بن علي على من كان منهم بالحجاز فسفك دماءهم وأفناهم

وقد تولى هو بنفسه سفك بعض من الدماء أيضاً ، ومن ذلك دم سليمان بن هشام بن عبد الملك ، فإنه كان قد وفد عليه من الشام فرحب به وقربه واستلطفه ، للذي كان بينه وبين ابن عمه مروان بن محمد ، فكان سليمان يختلف إلى مائدة أبي العباس في كل يوم ، فيتغدى معه ويتعشى ، وكان كأحد وزرائه أو فوقهم ، وكان يجلس أبا جعفر عن يمينه وسليمان عن يساره ، وما زال هذا شأنه حتى دخل سديف بن ميمون مولى بني العباس فأنشده :

لا يغرّنك ما ترى من رجالٍ إن تحت الضلوع داء دويّا
فضع السيف وارفع السوط حتى
لا ترى فوق ظهرها أمويّا

فأمر أبو العباس بسليمان فقتل ، ونسي ما كان من أمانه وإكرامه له ، وكذلك قتل وزيره أبا سلمة الخلاّل ، ولم يكن له ذنب عنده إلا اتهامه بالميل لبني علي ، وأمر أيضاً بقتل ابن هبيرة بعد أن أخذ عليه من الأمان ما أخذ ، فلما مضوا نحوه خر ساجداً وقال : ويحكم نحّوا عني هذا الصبي لا يرى مصرعي ، فضربوه حتى مات ساجداً

ويطول بنا الكلام لو ذهبنا نستقصي ما سفك أبو العباس وأعمامه وإخوته من الدماء ، ولقد كانوا كلهم شركاء فيها ما عدا سليمان بن علي ، فإنه كان أحنّهم على بني أمية ، وكان يكره سفك دمائهم ، ويجير كل من استجار به منهم ، حتى كان أبو مسلم يسميه كنف الأمان ، وهو الذي كتب في بني أمية إلى أبي العباس : يا أمير المؤمنين ، إنا لم نحارب بني أمية على أرحامهم ، وإنما حاربناهم على عقوقهم ، وقد دفّت إلى منهم دافةٌ لم يشهروا سلاحاً ، ولم يكثروا جمعاً ، فأحب أن تكتب لهم منشور أمان . فكتب أبو العباس منشور أمان لهم ، وقد مات سليمان وعنده بضع وثمانون حرمة لبني أمية[1]

فهذا هو العباسي الوحيد الذي كره سفك الدماء ، ولم يكن يباهي بسفحها كما باهى أبو العباس وغيره من أعمامه وإخوته ، وهو الذي كان يصح أن يتهم الأستاذ العبادي بتنقي لقب السفاح عنه لو ألصق به ، أما أبو العباس فإن سيرته بعد الخلافة طافحة بسفك الدماء ، ومن التجني على التاريخ أن يقول الأستاذ العبادي إنه رجع إلى سيرته قبل الخلافة وبعدها فلم يجد ما يسوغ تلقيبه بالسفاح بمعنى القتال ، وهو في هذا أشد من أبي العباس غيرة على نفسه ، أو كما يقولون: ملكي أشد من الملك ، لما سبق من تباهي أبي العباس بسفك الدماء ، ومن وصفه نفسه في بعض خطبه بما لا يرضى الأستاذ العبادي أن يوصف به

وسنبين للأستاذ العبادي كيف اختلفت الروايات بعد هذا في لقب السفاح بين أبي العباس وعمه عبد الله ، وليكن هذا في مقالنا الآتي

عبد المتعال الصعيدي

(١) هكذا روى عنه صاحب العقد ، وهو ينافي ما ذكرناه من قتله من كان من بني أمية بالبصرة ، وأنه ألقاهم في الطريق فأكلتهم الكلاب ، فلعل هذه الشفقة أدركته أخيراً عليهم

رحلات

عبد الوهاب عزام

صفحات من البيان الممتع سجل فيها الدكتور عبد الوهاب عزام ما رآه وما أوحت إليه أسفاره في البلاد العربية والإسلامية : (الحجاز ، والشام ، والعراق ، وتركيا ، إيران) وفي أوربا ، مع نبذ من تاريخ هذه البلاد ، وطرف من عواطفه العربية والإسلامية . وجمله في أسلوب بليغ سهل يفيد ناشئة الأدب ويجدي على المتأدبين .

وقد طبع في مطبعة الرسالة في نحو ٤٠٠ صفحة تتضمن كثيراً من الصور

وثمنه ١٢ قرشا ويطلب من مجلة الرسالة

ومن لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن فتى النيل